

# فاضل نعمة في متحف بيركامون في برلين

فخريه صالح الراوي – برلين 2003

إفاضل نعمة في متحف بيركامون في برلين

لاول مرة يكسر المتحف تقاليده بعرض اعمال تجريدية وشجون المعارضة الذكريات العراقية حملها العراقيون نساء ورجالا معهم طوال اكثر من ثلاثين سنة من الغربية في حلهم وترحالهم. اخترنوها في الذاكرة وكانت اسطربلابهم في الطريق الى الوطن. وفضح دكتاتورية حزب البعث لمن كان يريد ان يعرف عنها ولمن لم يرد ذلك! وما اكثر الذين اطبقوا اعينهم واذانهم وافواههم عن رؤية او مجرد السماع الى تلك الحقيقة

فاضل نعمة ابن المدينة المقدسة كربلاء المثخنه بالجراح, وخريج اكااديمية الفنون في بغداد حط ترحاله الاخير سنة 1998 في هولندا, لكنه مازال يرحل بذكرياته الى العراق وتراثه, يجسده في لوحات الكرافيك التي تغطي جدران المدرجات الضخمة والتي تربط قاعات الحضارة البابلية والسومرية من بوابة عشتار وشارع الموكب, بقاعات متحف الفن الاسلامي في متحف بيركامون ببرلين للفترة من 27 حزيران وحتى 14 ايلول 2003, من خلال معرض فاضل نعمة الذي اعطاه اسم (ذكريات عراقية) كسر اضخم متحف في المانيا تقاليده ومحرمات سابقة كانت تتركز فقط على عرض الماضي من تراث البشرية الثلاث وهي الرومانية وبلاد الرافدين والحضارة الاسلامية. بالإضافة الى ذلك اطلع الناس وزوار المتحف على الطاقات الفنية للمعارضة السياسية في بلدان العالم. في كلمة افتتاح المعرض اكد الدكتور كلاوس بيتر هازة مدير المتحف الاسلامي في برلين على كسر تلك المحرمات وازداد في كلمته قائلاً: منذ اكتوبر 2002 ونحن نسعى عن انقطاع اعمال التنقيب عن الاثار والسلب والنهب في المتاحف العراقية, وكنا قد قدمنا في السابق معارض وندوات عن بلاد الرافدين كلدانيين واشوريين ومواضيع اخرى, ولكن ماذا عن الفن العراقي الحديث من رسم ونحت؟ وماذا عن المثقفين العراقيين الذين رقدوا الثقافة والفن والعلم بدفعات قوية ليس في العراق فقط وانما في المنطقتين العربية كلها, هل نعرض للسلب والنهب لكي نجذب نظر المواطنين الالمان وزوار المتاحف ومن ثم الى وادي الرافدين ام نعرض اوضاع الذين عاشوا الغربية, وجاء مدير متحف الفن الاسلامي في هذا السياق على تحليل طبيعة الحكم السابق في العراق حيث قال: الوضع في العراق لم يكن رحيمًا والنظام الدكتاتوري لم يسمح للفن والفنانين بالعمل الا بالقدر الذي يخدمه, كما كان الامر في الحقب التاريخية عندما مر المغول في العراق وهتلر الشرق كما تحدث الاعلام في العالم لقد اجبر فنانون ومثقفون عراقيون ان يقتلوا جنودهم من بلادهم وهي كتجربتنا نحن في التاريخ الالمانى, فلم يجبر الرسامون على ذلك فقط, وانما الفنانون والمثقفون جميعاً وغيرهم من مرفهي الاحساس الذين لم يستطيعوا تحمل قمع الحرية والفكر.

بعد بحث طويل لمن يمثل المواضيع التي حركت الفنان في المنفى والحوار الحاد لقصة الفن العراقي وتجسيد القمع الدكتاتوري, تجمعت لدي اقتراحات عديدة من قبل اصديقاء, وجاء اختياري لاعمال فاضل نعمة, فاعماله جامعة ذات احجام معلومة في مساحة غير محددة تاخذ اللون الاصفر الترابي الذي كان موجودا ايضا في كل مكان من مدينتي هامبورغ اثناء وبعد الحرب العالمية الثانية, ان لوحات فاضل نعمة تذكرني بذلك بعمق, انها المساحات الواسعة من مناظر كربلاء التي تستنطق الذاكرة ذكريات الطفولة والشباب والاساطير العراقية والتقاليد الاسلامية الشعبية, في اعماله يمكن التعرف ايضا على اجواء الغربية واللجوء لتشعر بها عبر الموضوع والالوان. يعد فاضل نعمة منذ بداية التسعينات اسلوبه الخاص في الرمزية والتعبيرية, ضمن المدرسة التعبيرية التجريدية ويرسم اشكالاً فطرية وفولكلورية تستقي مواضيعها من منهل التراث الاسلامي والعربي والتي يجدها المرء في السجاد وايضا في المناطق الشعبية والمساجد وغيرها ومجمل الاساطير الشرقية يقول فاضل نعمة الذي قرر العودة الى الوطن؟ بعد ان تحرر من الدكتاتورية: المعروف جيدا ان الشرق غني بالاساطير والطقوس والرومانتيكية تشكل اللاسطوره والخرافات جزءا مهما من اشكال الحياة في الشرق وبالذات الاهتمامات الاكبر هي في تصور الآخرة وما بعد الموت, وفي هذه الاطارات اجد مكاني واضفي عليها من تجاربي والشخصية ومعايشاتي.

في اعماله الفنية يروي المبدع العراقي فاضل نعمة قصة متكاملة وايضا يقدم رؤيته للتاريخ ولكنه لايسرد الوقائع ويعتمد ان لا تكون لوحاته سهلة الفهم للمشاهد (وكلما اصبحت اللوحة واضحة يحاول تغييرها) كما يقول وقصده في ذلك مقاربة (هدف) الاساطير الشرقية والحكم المأثورة التي تتضمن الروابط والاهداف وايضا التلميحات الغامضة وغير المنطقية, فالرموز الماخوذة من الاساطير والخرافات ليست لها اشكال محددة, كما هو على سبيل المثال في مواصفات الجن والجبابرة والعمالقة والملائكة وغيرها, وهكذا ابتكر الفنان العراقي فاضل نعمة اسطورتها. وعبر هذا المعرض اكتشف زائر متحف بيركامون من المان وغيرهم الفن العراقي الحديث ومواضيع من التبه العراقي في الغربية والتهجير بسبب حكم جائر في وادي الرافدين, سمي بحكم حزب البعث العربي الاشتراكي.